مراجعـــات

اديب ديمتري ، **الماركسية والدولة الصهيونية** ، (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧١) .

منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ظهرت عدة كتب ماركسية (أو ذات طابع ماركسي) هدفها اعادة النظر في بعض جوانب النزاع العربي ــ الاسرائيلي والمسألة اليهودية والحركة الصهيونية على ضوء المنهج المادي التاريخي في التحليل وفي فهم الاحداث التاريخية . كذلك تمت اعادة اكتشاف عدد من الكتابات الماركسية والشيوعية العربية القديمة التي عالجت موضوع الصراع العربي الصهيوني والقضية الفلسطينية عامة قبل قيام دولة اسرائيل، وجرى تمحيص ما ورد فيها من تحليلات وتوقعات واقتراحات . كان كل ذلك ضروريا لان الموقف الاممي من الصراع العربي الصهيوني قد ارتبط في الاذهان ، بالنسبة للعرب ، بمجرد موافقة الاتحاد السوفياتي على قرار التقسيم عام ١٩٤٧ وردود الفعل السلبية الشديدة التي اثارها هذا التصرف في اوساط الجماهير العربية والتيارات الوطنية العاملة ضمن صفوفها . لذلك قام عدد من الكتاب الماركسيين في الفترة الاخيرة بفتح ملف هذه القضية لتبيان ما للحركة الشيوعية منذ بداياتها من مواقف صريحة وقوية في مقاومة الصهيونية ومعاداتها وادانتها كحركة رجعية وشوفينية مرتبطة بمصالح الدول الامبريالية . ويقع كتاب اديب ديمتري « الماركسية والدولة الصهيونية » ضمن هذا الخط ويطمح الى خدمة هذا الهدف . يثير المؤلف في مطلع كتابه مسألة مهمة جدا تتلخص في التضارب القائم بين موقف الحركة الشيوعية الكلاسيكي والمستمر في ادانة الصهيونية ورفضها من ناحية ، وبين السياسة الحاضرة للدول الاشتراكية (باستثناء الصين طبعا) والاحزاب الشيوعية التي تقر بشرعية وجود دولة اسرائيل منطلقة من الاعتراف بالامر الواقع من ناحية ثانية . الا ان المشكلة في كتاب اديب ديمتري هو انه يثير عددا من القضايا الجوهرية على النحو المذكور بدون ان يقدم للقارىء اية اجوبة معمقة تتخطى العموميات المتداولة حولها ، مما يترك القارىء بشعور بالخيبة بسبب الفارق بين اهمية القضية المثارة من جهة وهزال الاجوبة وسطحية التحليلات المقدمة من جهة اخرى . في الواقع يستعيض المؤلف في كثير من الاحيان عن التحليل الدقيق بسرد مطول لمعلومات عادية ومعروفة حول الصراع العربي الصهيوني مأخوذة عن منشورات متداولة مثل كتاب ليون « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » وكتاب « دولة اسرائيل » للكاتبة السوفياتية جالينا نيكيتينا الذي ترجم الى العربية في مصر ، وكتاب يوري ايفانوف « احذروا الصهيونية » ، ومجلد «من الفكر الصهيوني المعاصر » الصادر عن مركز الابحاث . اي بدلا من ان يستخلص المؤلف العبرة الاساسية من نتائج هذه الابحاث والكتب ويبني عليها تحليله ، وفقا لمتطلبات الموضوع الذي يعالجه ، (باعتبار ان العمل العلمي تراكمي) نجده يكرر بصورة مطولة ما جاء فيها من وقائع وآراء وسرد للاحداث . مثال اخر على قضية هامة جدا يثيرها الكتاب ولكنه يعجز عن معالجتها على المستوى المطلوب تتلخص فيما اذا كانت دولة رأسمالية مرتبطة بالاحتكارات الامبريالية مثل اسرائيل قادرة على التحول داخليا ، من خلال الصراعات الاجتماعية والطبقية ، الى دولة مرتبطة بالسياسة المعادية للامبريالية وبالحركة الثورية العالمية في المستقبل (ص ١٠٠ ــ ١٠١). ان الجواب البديهي الذي يتبادر الى الاذهان هو بالنفي ولكن لا يمكننا الاستناد طويلا الى البداهة في مثل هذه القضايا الحيوية ولا بد من تحليل دقيق ومطول ندعم به جوابنا . وبدلا من ان يقدم لنا اديب ديمتري محاولة للدخول في مثل هذا التحليل يعود الى سرد مجموعة من الوقائع التاريخية المعروفة مثل : « كان عدد اليهود في فلسطين عند